النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا

من جليل احمد خليل ـ جامعة ليون

١ ـ الانسان والسينما

يعتبر جودارد احد كبار المخرجين السينمائيين في اوروبا .وهو انسان يحيار الواقع ـ بعكس المثالي الذي يدعي انه يخترع الواقع او الواقعيين السطحيين الذين يكتفون بالقول : اننا نعيش الواقع ونعاني الازمات الحية . جودارد يختار الواقع يقدمه ، يحلله ـ وهو لا يقدم حلولا بل يبحث عن الاسباب القادرة على تعقيد الواقع او تبسيطه . فيلمه « مذكرات امرأة متزوجة » هو دليل حقيقي على نضج الفن السينمائي في فرنسا . فهذا الفيلم يحتل مركزا مهما الى جانب الافلام التحليلية المهمة ـ مثل مذكرات مجنون ومعظم افلام الممثل الراحل جيرارد فيليب . في فيلم جودارد ثورة جديدة : تمرد على الشكل، على اطار الحياة ، والحاح على ديالكتيكية الوعي وحوار الاشياء سلبا او ايجابا . وجودارد لا يحمل احكاما معينة على العالم ، بل يعرضه لنا . وعالمه فطار يسير بطريقة منتظمة متواصلة ولانهائية . هذا الفيلم منقسم الى ثمانية اقسام . يقدم اولا حوارا بين عاشق وعشيقة بطريقة مثيرة جدا : حوار الاصابع والايدي والحركات والظلال . حوار الكلمات والاطراف المائجة . حوار الاحاسيس النائمة مع الشهوة الثائرة.حوار الرجل والمرأة . حوار الاسود والابيض ، الممتلىء والفارغ . الضائع والراسخ . حوار الاحساس المتفجر والاحساس المأسور .

في اللوحة الثانية يعود الزوج مع صديقه الى بيته . تستقبله امرأته بفتور فيسألها اذا كانت في حالة حرب ، فتكتفي بالحيرة ، الا انها لا تعانق زوجها الغائب . في السهرة يجلس الجميع في صالة الانتظار ـ ويبدأ النقاش . الزوج يحدث عن الذاكرة ، يمجدها، يروي شيئا من حياته الماضية ويؤكد انه لا يستطيع ان ينسى شيئا ما . انه مرتبط بالماضي . وهو انسان له تاريخه وهذا التاريخ حاضر في حياته، لذلك يبدو حياته معقدة ومنطقية. تبدو معقولة لانها متناسقة. الزوجة العاشقة تعيش في الحاضر : الحياة حاضر لا حضور او غياب . الحياة اشباع يومي . وهذا العيش في الحاضر يريح الانسان من مرارة التفكير، فهل تعيش هذه المرأة في طمأنينة ام انها تعاني اشد انواع القلق . تكتفي بالقول في هذه اللوحة الحياة حاضر . احب الحاضر . لا اريد ان افكر ـ وربما كانت لا تستطيع ان تفكر . اما الضيف فيتحدث عن العقل : لا اختار العقل لانني طاعن فيالسن ، بل لان العقل يسمح لي ان افكر في الاشياء ، ان افهمها قبل ان اتخذ موقفا ازاءها . العقل يسمح للانسان ان يؤمن بقوانين ثابتة ، ان يرى الممكن والمستحيل ويستشهد ببيت شعر لابونيير :

« اينها الشمس هوذا فصل العقل الملتهب »

اما الطفولة فهي مرحلة التعلم والتحقيق والتطوير . هي مرحلة الاتصال بالخارج ورؤيته وهي مرحلة خطرة. لان المراحل القادمة ستقوم عليها ويكتفي الطفل بتعداد الاوامر التي يجب تنفيذها . بعد انتهاء السهرة تبدأ مشكلة حساسة هي علاقة الزوج مع زوجته العاشقة . تلجأ هذه الاخيرة الى اسطواناتها لتستمع اليها في نهاية الليل بينما زوجها ينظرها . فيجري خلفها يتوسل وهي تجري دون ان تعبأ .

ستيقظ قبل الظهر على صوت عشيقها فيعطيها موعدا في فندق معين ثم تبدأ بتحضير نفسها فتعطي الاوامر للخادمة العاشقة ايضا وتجهز نفسها بطريقة اصطناعية فتقيس صدرها وطولها الخ كما هو وارد في احدى المجلات ثم تخرج وتذهب الى احد الحمامات منتظرة. وهذه المرحلة يسميها جودارد « لاجافا » وهو اسم رقصة معروفة . فيالمقهى ليس للنساء الشابات سوى حديث واحد : كيف يمكن الاتصال بالرجل لاشباع الشهوة .

في لوحة اللذة والصمت ـ او اللذة والعلم ـ تتصل الزوجة بطبيبها . فيعلن لها انها حامل ، فتوضح له حيرتها لانها لا تعرف ابا الطفل وهي حائرة لانها لا تستطيع ان تكون مخلصة لعشيقها كما يجب. اي انها تخون عشيقها مع زوجها . وتسأل الطبيب عن الفرق بين الحب واللذة الجنسية ، عن الفرق بين الزواج وبين الاشباع الجنسي ، بين المتعة والاخلاص . يتلعثم الطبيب ثم يقول لها : ان الحب مختلف عن المتعة الجسدية . نسأله : بماذا ؟ فيخرس . ثم يتمتم المتعة الجسدية ليست عملا سيئا ، ما من شر في ذلك . فتخرج بعد ان يئستمنالعلم.

تدخل الى صالة السينما حيث ينتظرها عشيقها الذي تعرفهقبل زواجها ثم يخرجان معا الى الفندق حيث يقضيان وطرهما ثم تسأله عن الفرق بين المسرح والحب ـ ذاك ان عشيقها ممثل . يجيب : في المسرح يلعب الانسان ادوارا مفروضة عليه ، في الحياة يتصرف بطريقة تلقائية. لكن . ما هو الحب بنظرك ؟ الحب هو الشعور الذي ابديه نحوك .لا. لا تتكلم عني . كيف يمكن ذلك ؟ الحب يحتاج الى اثنين . انتهى.

لماذا الزواج طالما ان المتعة هي المرحلة التي يمر بها كل شابوشابة تقريبا ؟ ما معنى ان يتزوج رجل او امرأة ؟ ما معنى ان تتزوج امرأة رجلا اخر سوى عشيقها ـ الذي تستطيع ان تتزوجه ـ ثم تبقى مخلصة له ونعمل على ان لا تخونه مع زوجها ؟ تلك هي الاسئلة الرئيسية التي يطرحها جودارد . وهو في هذا الفيلم مشبع بالفكر الفلسفي ، فهو يتقدم بفيلمه ، كما في الحياة ، بطرح المشاكل على ضوء البحث لا في حلها . وكذلك الفلسفة .

اما المدرسة الاميركية الجديدة فهي مختلفة تماما عن هذه النظرة. فقد بدأت تلجأ الى تحليل نفسي اجتماعي وتستعمل احدث الوسائل الطبية والنفسية الاجتماعية لتقدم لنا حلولا صحيحة لمشاكل معقولة ـ مثلا مشكلة التمييز العنصر : فيلم ون بوتانو توبوناتو ـ او فيلم عن الامراض العقلية ـ شوك كوريدور ـ حيث تعالج حالة مرضية واحدة بين حالات عديدة ويشفى المريض بعد تجارب كثيرة .

اما استغلال السينما في الناحية السياسية فمختلف جدا عن الاستعمال الفلسفي والبسيكولوجي الاجتماعي . فان اسرائيل لجأتمنذ اغتصابها لفلسطين الى السينما كوسيلة جيدة من وسائل الدعاية فقدمت فيلم «الوصايا العشر» ثم حديثا فيلما كوميديا انتجته الكوميديا الفرنسية وهو عن الحياة في اسرائيل وعن اسباب عودة اليهود الى فلسطين : السبب الرئيسي هو تحقيق ارادة الله كما هو وارد في التوراة لا لجمع الاموال او لتشريد العرب . ويحلو للمخرج ان يقارن بين حياة العربي في القدس العربية وحياة الاسرائيلي في القدس المحتلة . ويبدأ الفيلم بتساؤل : هل نحن في نيويورك ؟ لا اننا في يافا او في تل ابيب . الخ... فنحن كعرب لا نطرح مشكلة وجود الشعب

اليهودي تاريخيا ولا ننفي حقه في الوجود القديم ، لكن ما ننفيه هو المؤامرة الاستعمارية على العرب وعلى جميع الشعوب الاسيوية الافريقية. ما نستنكره هو ان يدعى ان فيلم « Pas question le Samedi » هو عمل فني حقيقي . فهذا الفيلم يعرض حياة اليهودي في جميع المراحل الاجتماعيه : فهو يسرق ويكذب ويزور ويتآمر ويزيف الوقائع ، ثم يكف عن ذلك يوم السبت . فنحن لا يمكن ان نقبل الجرائم اليهودية وان نغفرها بحجة ان السبت هو يوم مقدس . لكل شعب معتقداته وتراثه وتطلعاته : لكن العصابات التي ترتكب الجرائم يجب ان تعاقب حتى ينتظم الحياة والا فالدمار هو نهاية كل شيء .

٢ ــ كافكا من جديد :

فرانز كافكا هو العلامة الاولى للاعمال الادبية المهمة التي قدمها سارتر وكيلين وكامو وكل الكتاب الذين يضعون الرواية والانسان في وضعيه خاصة . وقد نشرت له دار عاليمار مراسلاته بين عام ١٩٠٢ و ١٩٢٤ ترجمها عن الالمانية مارت روبر . فظهور رسائل غير منشورة لكافكا هو حدث مهم ، لاننا لا نعرف رغم شهرة الكاتب نواياه الحقيقية في كتاباته ، ولا يمكننا ان نفهم ادبه دون فهم حياته . وكافكا يمثل عالما منفردا ، ذلك ان عمله الفني وليد وعي حاد لانفصال القيم الموروثة عن الواقع ، ولان الواقع غير معطى ، ولكنه مكرس للغزو البشري ، لذا فان اول مرحله من مراحل الغزو هي سلبية وهدامة . وينتاب كافكا شعور حاد بالخطيئة ، وهذا الشعور متجسد في مذكراته . فهو اذ يطلب الى ماكس برود ان يحرق كل اوراقه دون ان يقراها فانما يحاول ان يتبرا من العالم وينفصل عنه كليا . الا ان كافكا كان يفكر ان يعيش من وراء كتاباته وقد وضح ذلك في رسائله لناشري مؤلفاته . والاشخاص الذين كتب لهم هم : ماكس برود ، فيليكس ويلتش ، اوسكار بوم ، اوسكار بولاك ، وثلاث فتيات احبهن حبا غامضا وناشريه . وكان كافكا يبحث عن الجوهري ، عن الرئيسي ، مما ادى الى صعوبة فهم رسائله وكتاباته. فما هو مصدر كآبة كافكا ؟ ومصدر هذه الحاجة الماسة للعزلة ومقدرته على تحملها ؟ يعتقد ان المصدر الرئيسي هو الادب بحد ذاته والمصدر الاخر هو الصراع الذي نتج عن ذلك في نفس كافكا . فكافكا مفعم بشعور لا مثيل له : شعور بالمسؤولية المطلقة ، بالاثم الذي لا ندري ما هو سببه الحقيقي . وهو يريد ان يجعل من الادب معولا يرفع العالم بواسطته. وفي « الدعوى » نجد صورة الانسان المطالب ، الملاحق : صورة ك. كافكا. وهكذا يبدو البنك المركز السري للعنف لاستغلال الانسان للانسان الخ. فما هي الواقعية في ادب كافكا ؟ ان واقعيته تتخطى المعطيات بطريقة دعيت خطأ رمزية ، اذ ان كافكا يعتمد تسمية الاشياء الحقيقية باسماء اخرى فبدلا من ان يقول « يهودي » يقول « كلب » دون ان يؤكد ان كلمة « كلب » تعني « يهودي » بالمعنى الحقيقي ، فكافكا يقدم لمحة عن الواقع لا الواقع . وهاكم قطعة فنية جيدة ، رسالة الى ماكس برود في ٥ ــ ٧ ــ ١٩٢٢ :

« ... بينما كنت ارقا هذه الليلة ، كنت اترك كل هذا يمر ويجري في جبلتي الاليمة ، شعرت من جديد ، نظرا لاني كدت انسى خلال هذه الفترة الاخيرة الصامتة تقريبا ، انني اعيش على ارض خراب كهذه ،غير موجودة في الحقيقة ، فوق ثقب لظل ما حيث تخرج كل القوى الغامضة كما تشتهي لتهدم حياتي دون ان تهتم ببكمي . ان الادب جعلني احيا هذا النوع من الحياة . وهذا لا يعني بالطبع ان حياتي كانت افضل عندما كنت لا اكتب . ففي تلك الحالة ، كانت حياتي بالعكس ، سيئة ولا يمكن تحملها ، لم يكن لها سوى منفذ واحد: الجنون ... لكن ما هي حالة الادب نفسه ؟ ان الخلق هو مكافاة لطيفة ورائعة لكن لماذا ؟ رأيت هذه الليلة بصفاء وبوضوح امثولة عن اشياء الطفولة ، ان الادب هو اجرة لخدمة الشيطان . هذا الهبوط صوب القوى الغامضة ، وتفكك الارواح المترابطة طبيعيا ، وهذا الضغط المبهم وكل ما يمكن حدوثه في الاسفل ولا نعرف عنه شيئا في الاعلى حيث نكتب الروايات تحت ضوء الشمس ... ومن الممكن ان يكون هناك اشكال اخرى للخلق ، اما انا فلا اعرف الا هذه . عندما تمنعني الكآبة ان انام في الليل ، لا اعرف الا هذه الاشكال .

... ان تعريف الكاتب ، هذا الكاتب بالذات ــ اي كافكا ــ وشرح نفاذه ، اذا افترضنا ان هذا النفاذ موجود هو : ان الكاتب هو رائد الانسانية الذي يسمح للبشر ان يتمتعوا ببراءة ، ببراءة تقربا بالخطيئة » .

٣ ــ روبنز واوزنفان

ان روبنز يضع كل الرسامين في جيبه ، نظرا لطاقته وحيويته ومهارته في العمل . فهو يجتاز الاشياء المقدسة متجها صوب الاشياء المباحة ، وينتقل من الطبيعة الميتة الى الصورة والمشهد في يوم واحد. وان الكهولة لا تؤثر على روبنز ، فان امرأة في عامها السادس عشر تثيره وتدفعه الى رسوم مهمة مثل « انجليك والناسك » ــ في متحف فيينا ــ التي تعتبر بدون شك معبرة عن ذروة الشهوة العارمة ، الشهوة التي تحدث عنها بودلير « هذه المخدة من اللحم الطري حيث لا نستطيع ان نحب » . وقد اجتاز اوروبا مرارا ورسم كثيرا واراد ان يكون في نفس الوقت رجل قصر ودبلوماسيا وعاشقا ، فهو يستخدم جسده طالما ان الروح ملتهبة واليد ماهرة . وقد مات روبنز عام ١٦٤٠ ، سقط كسندبانة قوية . في القرن السابع عشر عصر الفنون المهمة حيث بدأ رامبراندت « الزيارة الليلية » وثيلاسكوز الثمل بحب ايطاليا وبوسان رسم « مملكة فلور » .

اما اوزنفان فهو احد ثلاثة رسامين كبار في عصرنا : بيكاسو وماسون ، والفن الجديد مدين بكل شيء لهذا الرسام : فهو انسان الصفاء والوضوح والعقل الديكارتي والثمل في البحث عن الصفاء الاول . ان اميركا مدينة له بمدرستها الجديدة وتاريخ الفن باحسن دليل عن الرسم الحديث ، والرسم مدين له باعظم اللوحات التي ابتكرت . لقد دخل اوزنفان في التاريخ .

ليون — خليل احمد خليل

مؤلفات سيمون دو بوفوار

ق٠ل

- المثقفون ــ رواية جزآن
  ترجمة جورج طرابيشي ١٤٠٠
- انا وسارتر والحياة
  ترجمة عايدة مطرجي ادريس ٤٠٠
- مغامرة الانسان
  ترجمة جورج طرابيشي ١٥٠
- الوجودية وحكمة الشعوب
  ترجمة جورج طرابيشي ١٧٥
- نحو اخلاق وجودية
  ترجمة جورج طرابيشي ٢٢٥
- بريجيت باردو وآفة لوليتا ١٥٠
- قوة الاشياء ــ جزآن
  ترجمة عايدة مطرجي ادريس ١١٠٠

منشورات دار الاداب